



أن يتزامن تحديد مصير الجنوب السوري مع تحديد مصير مدينة منبج في الشمال الغربي، فهذا مؤشر على أن ما جرى يتراوّز، في أبعاده، مجرد تسوياتٍ ثنائية، بقدر ما هي خطة أميركية لإعادة ترتيب أولوياتها الاستراتيجية في الساحة السورية. رفضت واشنطن، خلال العامين الماضيين، أي محاولة من المحور الروسي الاقتراب من الجنوب السوري، في وقتٍ رفضت أيضاً تسلیم منبج للفصائل المعارضة المدعومة من تركيا، وتجاهلت كثيراً مطالب أنقرة الملحّة بخروج الوحدات الكردية من المدينة.

ليست منبج ذات أهمية استراتيجية للولايات المتحدة، كما الحال مع الشمال والشمال الشرقي من سوريا (الرقة، الحسكة، دير الزور)، ففي هذه المحافظات الثلاث، تهيمن واشنطن على نحو 60% من مقدرات البلاد الاقتصادية (نفط، غاز، مياه، ثروة زراعية وحيوانية).

ومع ذلك، رفضت الإدارتان الأميركيتان، الحالية والسابقة، تسلیم منبج للأتراك، لأنها لن تحصل على مكاسب سياسية أو عسكرية من ذلك، فواشنطن تدرك أن تسلیمها المدينة لأنقرة لن يغير من علاقة الأخيرة بموسكو، ولن يجعلها تعود إلى سيرتها الأولى. وقد عبر وزير الخارجية التركي، شاوش أوغلو، صراحة عن ذلك، حين قال أخيراً إن التعاون مع الولايات المتحدة في منبج ليس بديلاً من العمل مع روسيا في الشأن السوري.

الاتفاق التركي - الأميركي أخيراً، وتصريحات المسؤولين من البلدين لا تكشف ما هو مضمر في الاتفاق، أو الصفة الثانية في سوريا. إما أن الاتفاق محاولة أميركية لقطع الطريق أمام تركيا للقيام بعمل عسكري، في توقيتٍ يوائم صناع القرار في أنقرة (الانتخابات)، أو أن ما جرى مرتبط بترتيبات أميركية جديدة في سوريا.

يبدو الاحتمال الثاني الأقوى إذا ما تم ربط تزامن التحركات الأميركيّة - الروسية في الشمال الغربي والجنوب السوري.

أحد أهم الأوراق الاستراتيجية بيد الولايات المتحدة للضغط على المحور الروسي هي الورقة الاقتصادية، المتمثلة أولاً في المحافظات الشمالية الشرقية من سوريا، وثانياً في المعابر الجنوبية (الجمرك القديم، نصيب، التتف)، وثالثاً في إعادة الأعمار. وأن تتخلى واشنطن بسهولة عن معابر الجنوب، وتعطي النظام رئـة اقتصادية في هذا التوقيت أمر يدعـو إلى الاستغراب، خصوصاً أن الثمن المدفـوع من المحور الروسي بخـس.

ما زـا يعني انسـاحـاب إـيرـان من الجنـوب السـورـي؟ بالـأسـاس لا وجـود لـحضور عـسـكري إـيرـاني مهمـ في الجنـوب، لا وجـود لـقواعد عـسـكريـة، ولا لـصـوارـيخ. وـعـلـى مـدارـ السـنـوـاتـ المـاضـيـةـ، لم تـشـكـلـ إـيرـانـ أيـ تـهـدـيدـ لـإـسـرـائـيلـ فيـ الجنـوبـ، بـدـلـيلـ أـنـ الضـربـاتـ العـسـكـرـيـةـ إـسـرـائـيلـيـةـ لم تـحـصـلـ فيـ الجنـوبـ، باـسـتـثـنـاءـ بـعـضـ الضـربـاتـ غـيرـ المـهمـةـ.

من الواضح أن الولايات المتحدة تـعـدـ تـرـتـيبـ حـضـورـهاـ بـمـاـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ "ـقـوـاتـ سـورـيـةـ الـديـمـقـراـطـيـةـ"ـ، وـتـرـكـ فـصـائـلـ الـمعـارـضـةـ لـلـهـيـمـنـةـ التـرـكـيـةـ. وـمـنـ يـرـفـضـ تـرـكـ أـرـضـهـ فيـ الجنـوبـ يـلـتـزـمـ الـعـمـلـ فيـ إـطـارـ مـحـلـيـ ضـمـنـ الـهـيـمـنـةـ الـرـوـسـيـةـ، مـنـ أـجـلـ إـلـغـاءـ فـكـرـةـ الـمـعـارـكـ نـهـائـيـاـ بـيـنـ الـمـعـارـضـةـ وـالـنـظـامـ، عـلـىـ أـنـ تـنـسـحـبـ إـيرـانـ تـدـريـجـيـاـ مـنـ الـمـشـهـدـ الـعـسـكـرـيـ، لـاـ الـاـقـتـصـادـيـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ الـاـسـتـرـاتـيـجـيـ، لـتـصـبـ الـجـفـرـافـيـاـ الـعـسـكـرـيـةـ السـورـيـةـ بـيـنـ ثـلـاثـ قـوـيـةـ (ـأـمـيرـكـيـةـ، رـوـسـيـةـ، تـرـكـيـةـ).

فيـ هـذـاـ الـوـضـعـ، يـصـبـ لـمـوـسـكـوـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ مـمـارـسـةـ ضـغـوـطـ عـلـىـ الـنـظـامـ، وـيـصـبـ لـتـرـكـيـاـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ مـمـارـسـةـ الضـغـوـطـ الـكـافـيـةـ عـلـىـ الـمـعـارـضـةـ.

لـكـ مـاـ هـوـ لـيـسـ وـاـضـحـاـ إـلـىـ الـآنـ، هـلـ تـأـتـيـ الـخـطـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ هـذـهـ ضـمـنـ تـرـتـيبـاتـ الـاـنـسـاحـابـ مـنـ الـمـشـهـدـ السـورـيـ؟ـ أمـ أـنـ إـلـاـرـةـ الـأـمـيرـكـيـةـ طـوـتـ صـفـحةـ مـغـارـدـةـ سـورـيـةـ، وـأـنـ مـاـ يـجـريـ جـزـءـ مـنـ صـفـقـةـ مـعـ رـوـسـيـةـ تـشـمـلـ حلـ الـأـزـمـةـ السـورـيـةـ؟ـ

مـنـ الصـعـوبـةـ بـمـكـانـ إـلـاجـاـةـ عـنـ ذـلـكـ الـآنـ، لـكـ مـاـ هـوـ وـاـضـحـاـ وـاـشـنـطـنـ بـدـأـتـ عـمـلـيـةـ الـاـنـفـتـاحـ عـلـىـ الـحـلـفـاءـ، وـالـاـسـتـجـابـةـ لـمـطـالـبـهـمـ:ـ أـوـلـاـ، مـعـ فـرـنـسـاـ الـرـاغـبـةـ فـيـ الدـخـولـ إـلـىـ الـمـلـفـ السـورـيـ مـنـ الـبـوـاـبـةـ الـعـسـكـرـيـةـ، وـإـنـ كـانـ هـذـاـ حـضـورـ رـمـزـيـاـ.ـ وـثـانـيـاـ، مـعـ تـرـكـيـاـ مـنـ خـلـالـ التـنـازـلـ عـنـ مـنـبـجـ.ـ وـثـالـثـاـ، مـعـ الـأـرـدـنـ بـإـعادـةـ فـتـحـ الـمـعـابـرـ الـحـدـودـيـةـ مـعـ سـورـيـةـ، وـهـيـ الـعـمـلـيـةـ الـتـيـ يـنـتـظـرـ أـنـ يـتـمـ الـاـتـفـاقـ بـشـأـنـهـاـ قـرـيبـاـ، وـكـانـ إـلـاـرـةـ الرـئـيـسـ الـأـمـيرـكـيـ، دـونـالـدـ تـرـمـبـ، أـوـلـاـنـدـ عـنـهـاـ عـبـرـ دـيفـيدـ سـاتـرـفـيلـدـ مـعـاـونـ وـزـيرـ الـخـارـجـيـةـ.

قدـ تـبـدوـ الـخـطـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ مـحاـوـلـةـ لـتـهـدـيـةـ الـحـلـفـاءـ الـإـقـلـيمـيـيـنـ، مـنـ أـجـلـ الـاستـعـمـارـ فـيـ إـلـاـرـةـ الـأـزـمـةـ السـورـيـةـ، وـمـنـ الـحـلـفـاءـ مـنـ الـقـيـامـ بـخـطـوـاتـ مـنـفـرـدـةـ، بـعـدـمـ لـاحـتـ فـيـ الـأـفـقـ مـعـطـيـاتـ تـؤـكـدـ حـجمـ التـأـزـمـ السـيـاسـيـ الـتـرـكـيـ، وـحـجمـ التـأـزـمـ الـاـقـتـصـادـيـ الـأـرـدـنـيـ.

وـقـدـ تـبـدوـ ثـانـيـاـ أـنـهـاـ مـقـدـمـةـ لـتـبـيـبـ الـطـرـيـقـ أـمـامـ الـتـسـوـيـةـ الـكـبـرـىـ، مـعـ مـاـ يـتـطـلـبـهـ ذـلـكـ مـنـ رـصـ صـفـوفـ الـحـلـفـاءـ الـمـعـنـيـيـنـ بـالـمـلـفـ السـورـيـ (ـتـرـكـيـاـ، الـأـرـدـنـ)، وـتـقـدـيمـ تـنـازـلـاتـ لـرـوـسـيـاـ، يـخـشـيـ أـنـ تـزـدـادـ وـتـيرـتـهاـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـمـقـبـلـةـ.

المصادر:

العربي الجديد